مجلة قورينا العلمية QSJ
Qurina Scientific Journal
ISSN: 2959 - 7463

الاستعمار البرتغالي في شرق إفريقيا
" زنجبار نموذجًا "

د. اخويرة رمضان عمر عيسى
جامعة الزّاوية – كلية الآداب – قسم التّاريخ

الملخص

اشتغلت في هذه الدراسة على الاستعمار البرتغالي في "زنجبار" هذه الدّولة الإفريقية التي تطّل على المحيط الهندي والبحر الأحمر؛ ونظرًا للأهمية الاستراتيجية لهذه الدولة فقد تعرضت للغزو البرتغال السّاعي لتحقيق أهدافه وطموحاته الاقتصادية والسّياسية والدينية من خلالها إلّا أنّ المقاومة العربية والإفريقية لتي تمثل في التّصدى لهذا الاستعمار، بالإضافة الى الدّولة من الدولة العثمانية الدولة البرتغالية. والعمانية التي استطاعت ان تحطم آمال الدولة البرتغالية داخل زنجبار.

Summary

The study deals with Portuguese colonialism in Zanzibar, which overlooks the Indian Ocean and the Red Sea. Importantly, this strategic state was subjected to the invasion of Portugal seeking to achieve its economic, political, and religious goals and ambitions. However, the Arab and African resistance represented in confronting this colonialism from the Ottoman and Omani states destroyed the hopes of the Portuguese state.

المقدمة:

يُعتبر ساحل شرق أفريقيا الجزء المطل على البحر الأحمر والمحيط الهندي من القارة الإفريقية، وقد تأسست فيه دويلات إسلامية، كما شهدت حضارة عربية و إسلامية مزدهرة متعدّدة ،تعود للتواجد الإسلامي في تلك المنطقة قبل الإسلام وبعده ،وقد تعززت بزيادة التواجد العربي العماني، إذ تطورت أغراضه من الإقامة التّجارية المؤقتة إلى الاستقرار الدّائم وإنشاء المدن والإمارات العربية، وفي المقابل كان للحبشة المسيحية دورًا كبير في توطيد العلاقة الأوروبية البرتغالية، من هنا وضعت البرتغال عيونهاعلى هذه البلاد، حيث بدأت السّفن الأوروبية رحلتها الاستكشافية إلى السّواحل الإفريقية، وذلك من أجل الوصول إلى الهند والبحث عن طريق جديد للتجارة ونشر الدّيانة المسيحية. وتعتبر البرتغال أول الدّول الأوروبية التي وصلت ساحل شرق إفريقيا واستمرت بعدهاهذه الحملات الاستكشافية التي سرعان ماتحولت الى أطماع لا يمكن تحقيقها إلا من خلال

الاستعمار،وهذا كان السبب الرئيسي لتسليط الضوء في هذه الدراسة حول تواجد البرتغال في شرق أفريقيا بحجة الاطلاع والاستكشاف.

في حين تمثلت الإشكالية في سؤال مفاده:هل بالفعل قامت البرتغال باكتشاف مناطق مجهولة في شرق أفريقيا،أم أنهّا مجرد ادعاءات من أجل تحقيق مصالحها و اغتصاب هذه الدول الغنية؟ أضف الى ذلك ان هذه الدراسة أجابت على عدّة تساؤلات يمكن حصرها فيما يلي:

1_كيف أثر الوجود البرتغالي على مدن الساحل؟

2_كيف كانت ردود المقاومة الإسلامية العربية ضد الوجود البرتغالي؟

وقد اعتمدت هذه الدّراسة المنهج التحليلي السّردي في الخوض في هذا الموضوع.

أولاً: الموقع الجغرافي وأصل التّسمية:

تقع زنجبار في الأجزاء الشّرقية من أفريقيا، المطلة على المحيط الهندي، تحدّها كينيا وأوغندا من الشمال، ورواندا وبورندى وجمهورية الكنغو الدّيمقراطية من الغرب وزامبيا وهلاوى وموزمبيق من الجنوب، وتتكّون من إمارتين متجاورتين هما أرض زنجبار وتنجانيقا اتحدتا عام 1964م بعد الاستقلال في بداية 1961[i]، وبذلك تعرف بجمهورية تنزانيا المتحدة، اذ أن هذا الاتحاد هو ما منح زنجبار استقلالها.

ثانياً: دخول الإسلام في زنجبار:

عرفت زنجبار الإسلام عن طريق الهجرات العربية في نهاية القرن الأول الهجري، في عهد الدّولة الأموية، حيث وفد تجار العرب المسلمين مبكرًا للتجارة مع سكانها، وفي سنة 65هـ قام الحجاج بن يوسف في عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان بمحاولة ضمّ عدن الدّولة الأموية[ii]، وكان آنذال يحكم عمان الأخوان سلمان وسعد أبناء الجلندي[iii]، وقد امتنعا على تسلم عمان للحجاج فأرسل جيشًا كبيراً إلى الأخوين فخرجا منها ومن تبعهما إلى بر الرنج[iv] شرق أفريقيا، وقد ذكر المؤرخون _على ضوء هذه الحقيقة التّاريخية_ أنّ الوجود العربي في السّاحل الشّرقي لأفريقيا كان مركزاً مألوفاً لالتجاء حكام العرب في عمان كما أنّ هذه الهجرات استمر تدفقها إلى فجر العصور الحديثة، وتمكّنت بذلك من تكوين دولة إسلامية امتدت على طول السّاحل الشّرقي لأفريقيا[v] وجزره المقابلة، التي كان من أهمها جزيرة زنجبار وبعد أن أصبحت السّيطرة للقبائل العربية على أجزاء السّواحل المختلفة، عملوا على نشر الإسلام والثّقافة والحضارة العربية الإسلامية[vi]، ومع ازدهار الإسلام فيها أصبحت

وجهة تتدفق إليها مجموعات ضخمة من دعاة الإسلام من عرب وغيرهم فأنشاوا مراكز عربية ثابتة، ونشروا الإسلام بين القبائل الإفريقية السّاحلية والقاطنة في الجزر المطلة على ذلك السّاحل[vii].

ثالثاً: الوجود البرتغالي بساحل الشرق الإفريقي:

إنّ الوجود البرتغالي بسواحل أفريقيا يعود إلى ازدهار الاكتشافات الجغرافية الأوروبية في الفترة ما بين 1420–1498م؛ وذلك من أجل البحث عن طريق جديد موصل للهند لا يمر بالأراضي الإسلامية، ولا يقع تحت سيطرتها،وقد كانت البرتغال في تلك الفترة تتمتع باستقرار الأوضاع السّياسية، بعد أن تمكنت من الحصول على حدودها السياسية وطردوا المسلمين المتواجدين في إيبريا إلى المناطق الجبلية في غرناطة[viii]، وكان (هنرى الملاح) (1419–1460م) ابن الملك الأول في سباة ولا يعلم بحقيقة اهتمام البرتغال باكتشاف سواحل أفريقيا . ، كما تعتبر رحلة (بيد دى كوميهام) سنة 1481م رحلة تجسس وصل خلالها إلى مصر، ثم إتجه عن طريق البحر الأحمر لعدن والهند، وفي طريق عودته زار الإمارات في السّاحل الشّرقي لأفريقيا، وقد فتحت هذه الرحلة عيون البرتغاليين؛ نظراً لأهمية الاستراتيجية لهذه المناطق. أضف الى ذلك أن أساس الرحلة التي قام بها (فاسكود اجاما)[10] حول رأس الرجاء الصّالح[11]،سنة 1498م كانت تجسسية أيضا، حيث أبحر بهمة ونشاط من جزر رأس الرجاء متجه صوب الجنوب فوصلت بعثته الكشفية الخليج العربي، وبذلك فقد دار(فاسكوداجاما) حول هذا الرأس وإتجه شمالاً حتى وصل إلى ساحل موزمبيق وأقام في ماليندى عدّة أيام[12].

رابعًا: دوافع الاستعمار البرتغالي في إفريقيا:

يكمن سرّ اختلاف أساليب البرتغال الاستعمارية عن غيرها من الدّول في كون العامل الدّيني قد شكّل أهم الدّوافع التي جعلت البرتغاليين يشنّون حملاتهم العسكرية على أفريقيا[13]، إلا أنه لم يكن العامل الوحيد الذي دفعهم إلى ارتياد مجالي الاستكشاف والاستعمار المادية المتمثّلة في السلب والغنائم، وتلبية رغبات الطّبقات البرجوازية الصّاعدة في مختلف مدن البلاد[14].

إنَّ الدّافع الدّيني والمادي كانا متلازمين لا ينفك أحدهما عن الآخر[15]، وقد جنى بذلك البرتغاليون أرباح طائلة، كما وجدوا مصادر مالية جديدة عن طريق تجارة التوابل المربحة، بالإضافة إلى تمكّنهم من الاتصال (بالقديس يوحنا)ملك الحبشة التي كان يتبع أخبار الحروب الصّليبية، ولم يكتفوا بإظهار رغبتهم فقط؛ في هذه الحرب وإنما جرت بينهم وبين ملوك أوروبا اتصالات، كان الهدف منها إقامة حلف مسيحي من أجل مهاجمة المسلمين من الجنوب[16]، وكانت ملكة الحبشة آنذال قد أوفدت مبعوثًا سنة 1510هـ إلى ملك البرتغال "عمانويل" تعرض عليه استعدادها للاتفاق

والعمل المشترك معه ضد الوجود الإسلامي، ومن ضمن ما ورد في رسالتها قولها: إنها لا تعمل على مهاجمة المسلمين المتمركزين في السّهول المحيطة بالحبشة فحسب؛ لكنها تنوى مهاجمة مكة وهي في هذا بحاجة لمساعدة الاسطول البرتغال الذي أحرز انتصارات حاسمة على الأسطول الإسلامي في المحيط الهندي(17).

بالفعل فقد استجابوا لطلب ملكة الحبشة، حيث أصدر البابا عّدة مراسم يأذن فيها لملك البرتغال بمهاجمة المسلمين و حرق بيوتهم ومصادرة أراضيهم، ومن ثمّ أرسلت قوات عسكرية تحقيقاً للوعود المقطوعة، وعلى رأس هذه القوة العسكرية أحد أبناء الرحالة فاسكوداما؛ لكنها منيت بخسائر كبيرة بعد مقتل قائدها(18)

2- الدّافع الاقتصادي:

لقد قرّر الملك البرتغالي (عمانويل) الأول أن يقضى على سيطرة المسلمين التّجارية في عدن ومضيق هرمز، بالإضافة الى تخليص البرتغاليين من الضّراب التي كانت مفروضة عليهم، والتخلص أيضا من تجارة الاحتكار للبضائع الشّرقية ،ومن أجل فكّ هذا الاحتكار العربي وأضعافه توجه البرتغال طرق تجارية جديدة تمنع من دخول المسلمين الأراضي الإسلامية، إلاّ لأن الدّولة العثمانية قطعت الطّريق البري بين أوروبا والشّرق الذي تربطهما علاقات تجارية، الأمر الذي دفع البرتغال للبحث عن طريق آخر، مستفيدة في ذلك من إطلالها على المحيط غرباً، وفي عام 1502م قررت البرتغال منع العرب من الحصول على التوابل وأحكام سيطرتها على طرق التجارية مع الهند، وفرضت ضرائب على مرّ السّفن في الموانئ محملة بالبضائع من السّواحل الغربية للهند، ومنعت وصول السّفن التّجارية على البحر الأحمر(19).

وهناك أسباب أخرى هي:

لم يكن بمقدور الدّول الصّغيرة في أوروبا كالبرتغال أن تتنافس الدّول الكبرى في أراضيها داخل القارة الأوروبية؛ لذا انصرفت البرتغال كدولة صغيرة في أوروبا إلى فنون الملاحة الاكتشافية والاساطيل والملاحة البحرية، وترتب على ذلك في إنشاء اساطيل ومن ثم ممارسة نفوذها فيما وراء البحار دون أن تملك قوة بحرية نافذة، كما أنّها توجهت إلى مناطق تنعدم فيها المنافسة الأوروبية(20)، وبمجرد احتكاك الاسطول البرتغالي بالموانئ الإسلامية في خليج عدن منذ عام 1503م ووصوله عام 1505م أدرك ضعف القوة البحرية الإسلامية لدى دولة المماليك، وتأخرها في الرّد المناسب،

الأمر الذي حفّزه أكثر على التغلغل في البحر الأحمر وأحكام السّيطرة على الموانئ العربية ومضيق هرمز والبحر الأحمر وعدن(21).

وقد اتسمت أنشطة البرتغاليين في البحار والمحيطات بروح التنافس والتوسع الإقليمي، وكان المنافس الأكبر لهم في تلك المناطق الدّولة العثمانية والعمانية، فعندما سقطت دولة المماليك عام 1516-1517م على يد العثمانيين تحالف البرتغاليون مع الحبشة لعرقلة تقدم العثمانيين في مناطق البحر الأحمر، وحشد البرتغاليون و في القرن السّادس عشر عدّة دول مناهضة للتّوسع العثماني الحبشة وفارس وجنوب الهند ،وقد برزت تلك الرّوح المنافسة عندما أكد عليها ملك البرتغال عام 1499م(22). كانت تلك هي أبرز دوافع الاستعمار البرتغالي في المناطق الشرقية الإسلامية وهي أي حال كفيلة بتحقيق جهود البرتغال للمخاطرة والترحال والاستيطان في مناطق نابه ولكن الجدير بالذكر أنّ هناك عوامل متعدّد أدت الى انهيار قوتهم البعيد المدى من أهم تلك المناطق، وعلى رأسها وجود قوة محلية ألا وهي الدّولة العثمانية.

خامساً: الصّراع بين العرب والبرتغاليين في البحر الأحمر:

عندما توجه البرتغاليين إلى البحر الأحمر لاحتلال عدن، كان واجباً على دولة المماليك تجهيز الجيوش للدّفاع عن اليمن؛ نظراً للأهمية الاستراتيجية لموقعها على البحر الأحمر والأماكن المقدسة(23)

حيث جهّز السلطان (قانصوه الغوري) أسطولاً مكوناً من خمسين سفينة بالمدافع والأسلحة تحت إمرة (سلمان ريس) واسند له القيادة العامة، وانطلقت هذه الحملة في عام 916هـ الموافق 1511م متوجهة إلى الهند، إلا أنها عادت ولم تحقق أهدافها، فقد أحدق الخطر على دولة المماليك، إذ لم يقتنع البرتغاليون بما حقّقوه في الهند، وتوجهوا مع عشرون سفينة في البحر الأحمر ليحولوا مجرى النصر ويجعلوا مصر الإسلامية صحراء قاحلة؛ لكن المتاعب أرغمت القائد البرتغالي (البوكيري) على العودة(24)، وعندما استولى عليها السّلطان (سليم الأول) عيّن (خيري بك) والياً على مصر والأمير (حسين الرّومي) على جدة، وبعد ذلك توجّه إلى مكة واتفق مع الأمير (حسين الرومي) على قتال الجراكسه في نهاية اليمن، فقد وصل البرتغاليون من الهند إلى عدن؛ إلّا أنّ الأمير بجدة ارسل سفناً الدفاع عن اليمن والبحر الأحمر(25).

وفي عام 926هـ/ 1519م وصل البرتغاليون مرة أخرى على رأس جيش ومدافع وعندما عجزوا على الدخول إلى اليمن اتجهوا نحو الشام، واتخذوا مدينة (كمران) قاعدة عسكرية لهم إلا أن القائد العثماني اشتبك معهم وأسر جماعة منهم (26). يتضح مما سبق أنّ هناك عدّة حملات برتغالية

على البحر الأحمر، ولعل توجه البرتغال نحو البحر الأحمر كان سببه شائعات انتشرت في مناطق الهند تروج الى أنّ العثمانيين قادمون فضلًا عن السّعي من قبل القائد البرتغالي (البوكيرك) لتحطيم قوة العرب (المماليك) وتدمير حكمهم، واحتلال البحر الأحمر، لكن كلّ هذه الحملات المتلاحقة فشلت،وظلّ البحر الأحمر هدفاً للبرتغاليين(27).

حملة الباشا سليمان في الهند:

لقد استنجد حاكم مدينة كجران في الهند بهارد بالسّلطان العثماني بهارد سليمان القانوني فقام بتجهيز أسطولًا حربياً وفرض الضرائب على البرتغاليين في المحيط الهندي وفي الوقت نفسه أنشأ السّلطان العثماني ترسانة بحرية لحماية البحر الأحمر والمحيط الهندي من البرتغاليين، إلّا أنّه في عام 945هـ/1538(28) استطاع السلطان سليمان الباشا هزيمة البرتغال.

الحبشة وسط الصّراع:

بعد سيطرة الدّولة العثمانية على اليمن، نشرت الحبشة من 40-50 سفينة في المحيط الهندي؛ لتأمين الحبشة من البرتغاليين؛ ولكن البرتغال قامت بالتحالف مع المسيحية في الحبشة ودعمتهم(29)، بينما العثمانيون قاموا بدعم وتعزيز المدن التي تقع على السّاحل مثل (زبلع ومصوع وسواكن) وهي مدن استهدفها البرتغاليين وحاصروها من أجل أحكام السّيطرة عليها، وفي الوقت ذاته قامت الدّولة العثمانية بتسليح هذه المدن ثم زودت زيلع بالأسلحة(30)، بعد أن جندت الأهالي؛ إلا أنّ البرتغاليين تمكّنوا من التّصدى لهذه الحملات، وقطعوا الطريق البحري بين الحبشة والهند حتى يتمكنوا من احتلال الحبشة، ومع ذلك مُنوا بهزيمة اجبرتهم على التخلي عن حرب الحبشة عام 1512م(31).

حملة بيرى بيك:

بعد أن فتح العثمانيون البصرة عام 1534م أعلن أمير البصرة (راشد بن مغاسي) ولاؤة للسلطة العثمانية ،غير أنّ التواجد البرتغالي في الخليج العربي قاد العثمانيين الى شن حملة عسكرية من بغداد والاستيلاء على البصيرة عام 1546م وبذلك أصبح ميناء البصرة قاعدة بحرية للدولة العثمانية بعد فتح قناة السويس لإرسال حملات بحرية ضد البرتغاليين(32)، وقد بدأ الصّراع بين العثمانيين والبرتغاليين في خليج العرب عام 1546م(33)، واستمر هذا الصراع حتى تمكّن العرب من طردهم، فأعلن أهالي القطيف في السّعودية انضمامهم للدولة العثمانية وتخليهم عن الحاكم هرمز (34).

وهكذا فقد اسند السّلطان سلمان القانوني أمر الحملة التي انطلقت من سوسي إلى بيرى بيك رئيس قبطان البحر لدى الدولة العثمانية في السويس وكانت مهمته تأمين قناة السويس وسواحل الجزيرة العربية من الاحتلال البرتغالي(35).

ثالثاً: الصّراع العربي الإسلامي البرتغالي على ساحل شرق افريقيا:

أولاً: الصّراع العثماني البرتغالي:

كانت (ممباسا) تقوم بمظاهرات ضد الاحتلال البرتغالي، وظلّت الدّولة العثمانية تنتظر الفرص الملائمة لخوض الثورة ضد البرتغاليين،وقد برزت جهود العثمانيين في مقاومة الاستعمار البرتغالي والدّفاع عن السّاحل في عام 1586م إذ وصل القائد العثماني (مير علي بيك) إلى الصّومال ومعه أسطولًا بحرياً لمواجهة البرتغاليين، وبذلك أعلنت المدن التابعة للصّومال التخلي عن ملك الحبشة فيليب الثاني(36)، وأعلنوا التبعية للسلطان سليمان العثماني، وبذلك تحمّس الأهالي وحكامهم لاستقبال قادة العثمانيين، وتمّ اشعال الثّورة ضد البرتغاليين، وطلب حاكم (ممباسا) من السّلطان العثماني بناء حصن لحماية المدنية وتزويده بحامية تركية، ووعده (على بيك) بتلبه طلبه في أقرب فرصة، كما هاجم عدد من السّفن البرتغالية في ساحل إفريقيا بمساعدة الأهالي، وكانت مدنية (ممباسا) أسبق المدن للاعتراف بالدولة العثمانية(37)، وقد أرسل السّلطان (سليم مراد الثالث) حملتين بحريتين لحماية البحر الأحمر من الخطر البرتغالي، وحصل على غنائم كثيرة وأسّر عدد من البرتغاليين بلغ عددهم 50 أسيراً، وصل بهم الى اليمن ،ثمّ أرسل السّلطان (ماليندى) الى حلفائه البرتغاليين فأرسلوا له أسطولاً بقيادة (ميرو) الذي تمكّن من تدمير وحرق بعض السفن العثمانية وأجبر سلطان مدنيه (ممباسا) على دفع مبلغ مالي من الذهب مقابل انسحابه منها إلّا أنّ الصّومال صمّمت على الدفاع عن أراضيها ومقاومة هذا العدوان برجالها(38).

وفي عام 1588م عاد (مير علي) إلى السّاحل بأسطولٍ مكون من 50 سفينة فأستقبلته الدّويلات الإسلامية مرحبة ومعلنة الجهاد ضد البرتغاليين، وانضمّت معظم مدن السّاحل للقائد (علي بك ماليندى) الذي حاول السيطرة بالقوة إلّا أنّ القائد البرتغالي تصد له[3ix]، ووصل الخبر إلى نائب الملك في الهند فأرسل أسطولًا مكوّن من 20 سفينة سنة 1589م وحاصر كلّ من مدينة (برداة ولامو)، وماليندى ثم ممباسا وفرض عليهم حصاره[40].

لقد تزامن التهديد البرتغالي مع هجوم الزيميا الإفريقية الحبشة، وبذلك وجد أهالي مدينة ممباسا وحلفائهم العثمانيين في معركة انتهت بانتصار البرتغاليين من جهة البحر؛ فاضطر الكثير منهم للفرار إلى السّفن العثمانية، ونصب البرتغال حاكماً يحكمها باسمهم وتم أسر القائد العثماني (مير على بيك) وإرساله للبرتغال.

رغم كلّ هذه الأحداث الرهيبة سنة 1589م إلّا انّ السكان في مدينة (مبماسا) استمروا في إثارة المتاعب للبرتغاليين، مما جعل القوات البرتغالية تهاجم ممباسا مّرة أخرى سنة 1592م وهكذا ظلّ الخطر العثماني يهددهم حتى قرر البرتغاليين عام 1589 تكثيف جهودهم في المحيط الهندي وفي ساحل شرق أفريقيا وتحويل السّيادة البرتغالية إلى ممباسا.

الصّراع العماني البرتغالي:

كانت السّيطرة البرتغالية على ساحل شرق إفريقيا والتي استمرت ما يقرب قرنين من الزمن سبب لإثارة الصّراع بينهم وبين العرب والأفارقة القاطنين على تلك السّواحل[41]، فعندما ثمّ طردهم من بلاد فارس من هرمز تلقى البرتغاليون ضربه عنيفة؛ لأنّ أهميتها كانت بالغة بالنسبة لهم، وشجع هذا الأمر شعب ساحل شرق أفريقيا على التمرد ضد البرتغاليين، وبذلك وقعت انتفاضه في كلّ مدن سّاحل الشّرق لأفريقيا سنة 1631م وبدأت الثورة في مدينة (ممباسا) التي كانت خاضعة للسلطان (يوسف) الذي اعتنق المسيحية من أجل إن تبقى (ممباسا) له، إلا أن إجراءات القمع الوحشية الصادرة من قبل طبقة الحاكمة البرتغالية التي مارسوها على شعب السّاحل الشرقي الأفريقي جعل السلطان يوسف يتمرد على حاكم البرتغال في (ممباسا) فجمع 300 جندي واقتحم القلعة وقتل الحاكم البرتغالي واتجه إلى أحياء التي تسكن فيها البرتغاليين وقتل جميع السّكان[42].

ونتيجة لذلك أرسل نائب الملك في الهند أسطولاً لمعاقبة المتمردين في (ممباسا) سنة 1632 فحاصر المدينة لمدة 3 أشهر لكن دون جدوى الامر الذي دفعه العودة الهند لتجهيز قوة أكبر وترك سفنتين لحراسة مدخل الميناء إلا أن السلطان يوسف استولى على السفينتين وجرد القلعة من تجهيزاتها وفّر إلى شبه الجزيرة العربية، فعاد البرتغاليون إلى ممباسا سنة 1635م وعاقبوا المتمردين

واعادوا السّيطرة على ساحل شرق أفريقيا(43)، في سنة 1645م ارسل القائد البرتغاليين (فاز وسيو) إلى الملك البرتغالي شكوى بسبب الظّلم الذي تعرض له شعوب ممباسا؛ وكنّة لم يفعل شيئاً حيال الامر؛ لذا حاولت القبائل المجاورة لممباسا تغيير هذا الواقع عام 1651 م فشنت القبائل حرباً ضد البرتغاليين فأرسلت البرتغال الكابتن (فاسكودجاما) إلى شرق إفريقيا لإعادة السيطرة(44)، وبذلك نرى أنّ هذا الانتصار لن يدوم طويلاً وذلك لظهور القوة العمانية في ساحل شرق أفريقيا فقد تلقى العمانيون صدمة شرسة في عهد البوكيرك، حيث قام بهدم المدن السّاحلية والقضاء؛ على تجارتهم إلا أنّ العمانيون لم يتمكّنوا من الدفاع عن بلادهم، وذلك لأنّ القوى البرتغالية تتفوق على القوى العمانية وكانت الإمامة في عمان تمرّ بمرحلة ضعفٍ وهذا ما ساعد البرتغاليين في بسط نفوذهم على القوى العمانية. لقد بذل العمانيون جهد كبير لإخراج البرتغاليين تارة لوحدهم وتارة بمساعدة الأتراك وذلك دون جدوى.

وبعد صراع طويل مع البرتغاليين في مسقط أثر هذا في نفوس سكان السّاحل الشّرقي لأفريقيا، الذين عانوا من ويلات هذا الاستعمار مما جعلهم يطلبون النّجدة من العمانيون الذين كانت لهم صلة قديمة بالمنطقة(45).

فرغم الحملات العسكرية المتكررة من البرتغاليين لاستعادة سلطتهم؛ إلاّ أنّهم فشلوا في ذلك حيث شهدت عمان والمناطق التي كانت تحت سيطرة البرتغال على القيام بحملات ضد الساحل الشرقي لأفريقيا، وثمّ طرد البرتغاليين كتمهيدً للدفاع العربي الإسلامي شرق أفريقيا في السّاحل والدّاخل(46).

الخاتمة

من خلال خوضنا في هذا الجانب الاستعماري الذى تعاطينا فيه مع اهم الدوافع التي جعلت من شرق أفريقيا وجهه لدخيل كالبرتغال توصلنا إلى عدّة نتائج أهمها :

1- إن الدفاع الديني، وكره الإسلام و النظر له كعدو المسحية هو السبب الرئيسي لهاذا الاستعمار
2- كانت فكرة الاستكشاف و البحث عن طرق نحو الهند مجرد صحه للتواجد البرتغالي في إفريقيا
3- موقع شرق أفريقيا الهام ووفرة خيراتها هي الميرار الحقيقي خلف الحملات المستمرة من قبل البرتغال لسيطرة عليها
4- ضعف المنطقة وبعدها عن التقدم هو ما جعلها تخضع بسرعة كدولة صغيرة كالبرتغال
5- كان للدولة العثمانية الدور الرئيسي في صد هذا الاستعمار ومقاومته و القضاء عليه

6- انتشار الإسلام في شرق أفريقيا كان تهديد للمسحية، لذا امتدت بعض الدول كالحبشة مع البرتغال فقط للقضاء على الإسلام.

ومن خلال هذه الدّراسة يتضح لنا أنّ الأهمية الجغرافية للسّاحل الشّرقي لأفريقية؛ كونها المنطقة المطلّة على المحيط الهندي، ونقطة وصول بين قارتي إفريقيا وآسيا، كانت السبب الرئيسي في اهتمام البرتغاليين بها وخاصة بعد اكتشاف طرق الرئيسة في شرق أفريقيا. وقد كان هدف البرتغال من هذه الاستكشافات كنشر الديانة المسيحية والسّيطرة على الطّرق التجارية؛ إلاّ أنّ الأفارقة والدّول الإسلامية مثل العثمانيين قاموا بحماية الدّين الإسلامي من هجمات البرتغاليين. هذا بالإضافة إلى الدولة العمانية التي احتكرت تجارة الهند الشرقية من البرتغاليين مما دوافعهم محاربة ذلك و القضاء عليه وتلبية رغبات الامبراطورية في برتغال إلا انّ الدولة العثمانية لم تقف تتفرج وبرزت جهودهم منذ عام 1586م حتى وصل القائد العثماني للمدن السّاحلية وأعلنوا سلاطين المدن الساحلية الانضمام الدولة العثمانية اقروا التخلي عن البرتغاليين واشعال الثورة ضدهم وطردهم حتى انتهت امبراطورية من الشرق بفضل قيادة العثمانيين و إصرار الأفارقة على رفض الظلم عنهم.

الملاحـــق

ملحق رقم (1) خريطة توضح مدن سواحل شرق أفريقيا

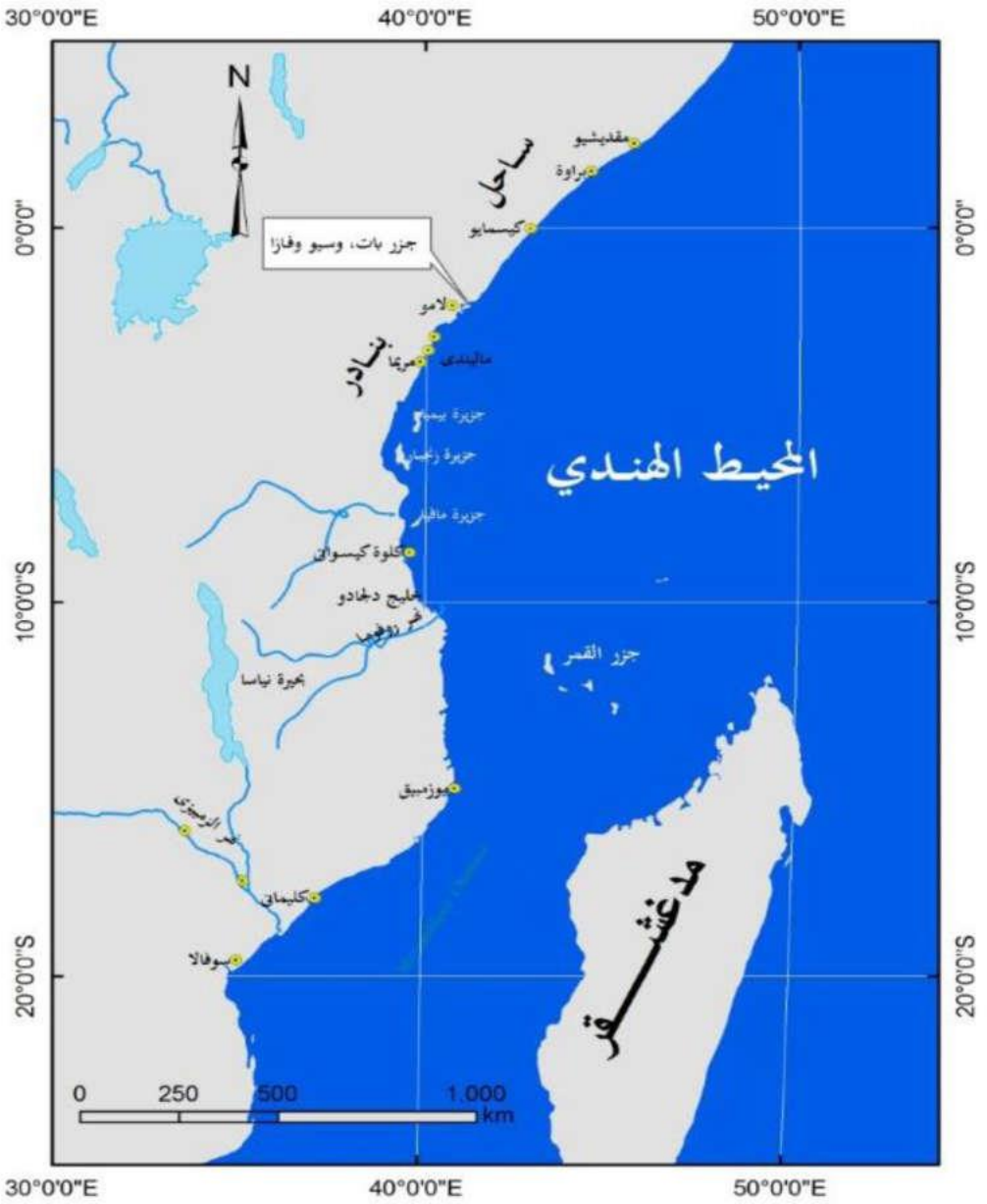

المصدر: مبارك فضل الله شيرين، "دور النخبة الخائنة في إطالة الصراع العماني البرتغالي في ساحل شرق إفريقيا دراسة حالة فاز وماليندى وزنجبار 1652م و1698م"، مدرس التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة، ص3495.

ملحق رقم (2) خريطة توضح الخطوط التجارية بالمحيط الهندي قبل القرن 15م

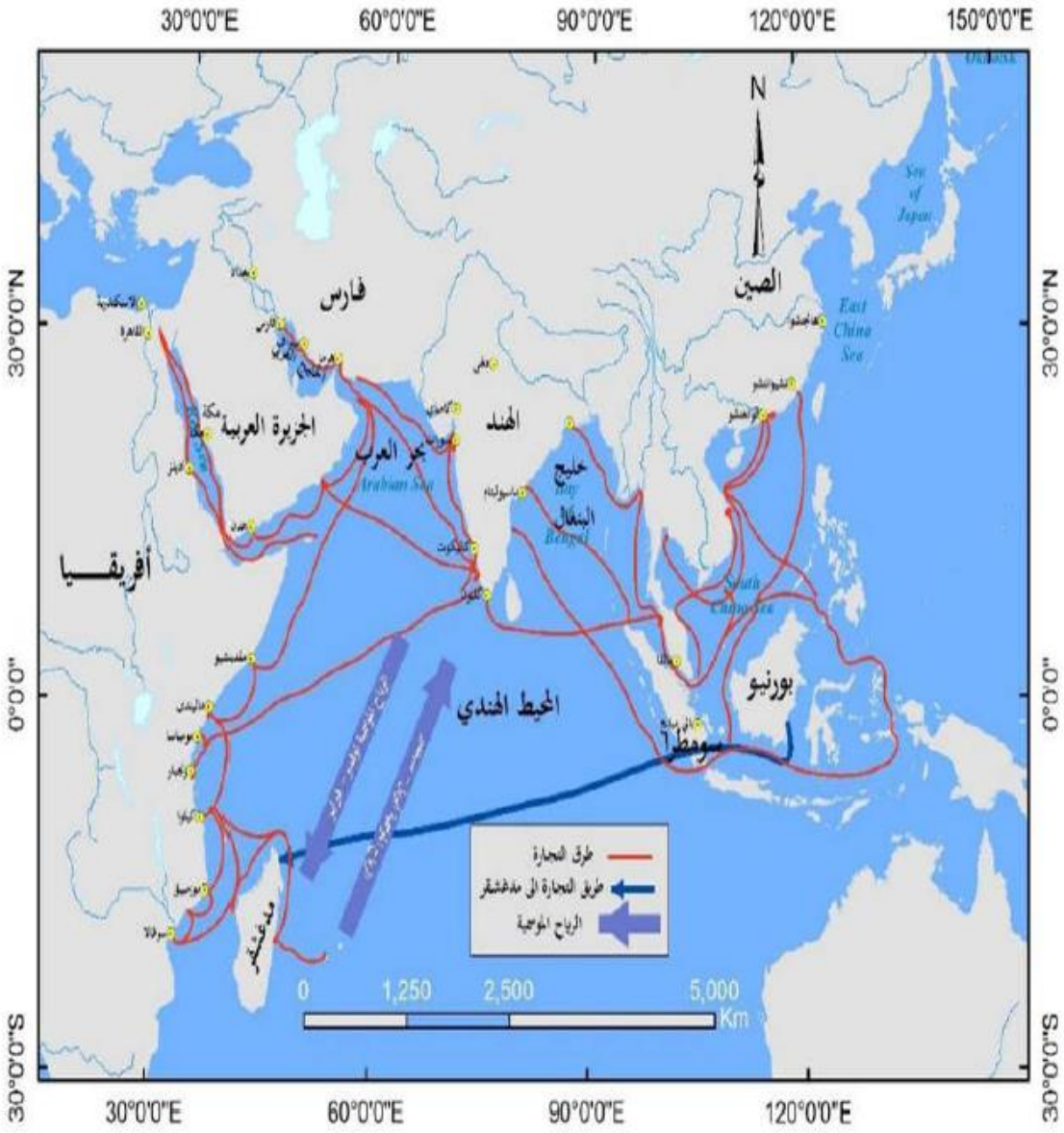

المصدر: مرجع نفسه، ص3495.

ملحق رقم (3) يوضح سفن حربية برتغالية للقائد فسكود يجاما خلال سنة 1520م

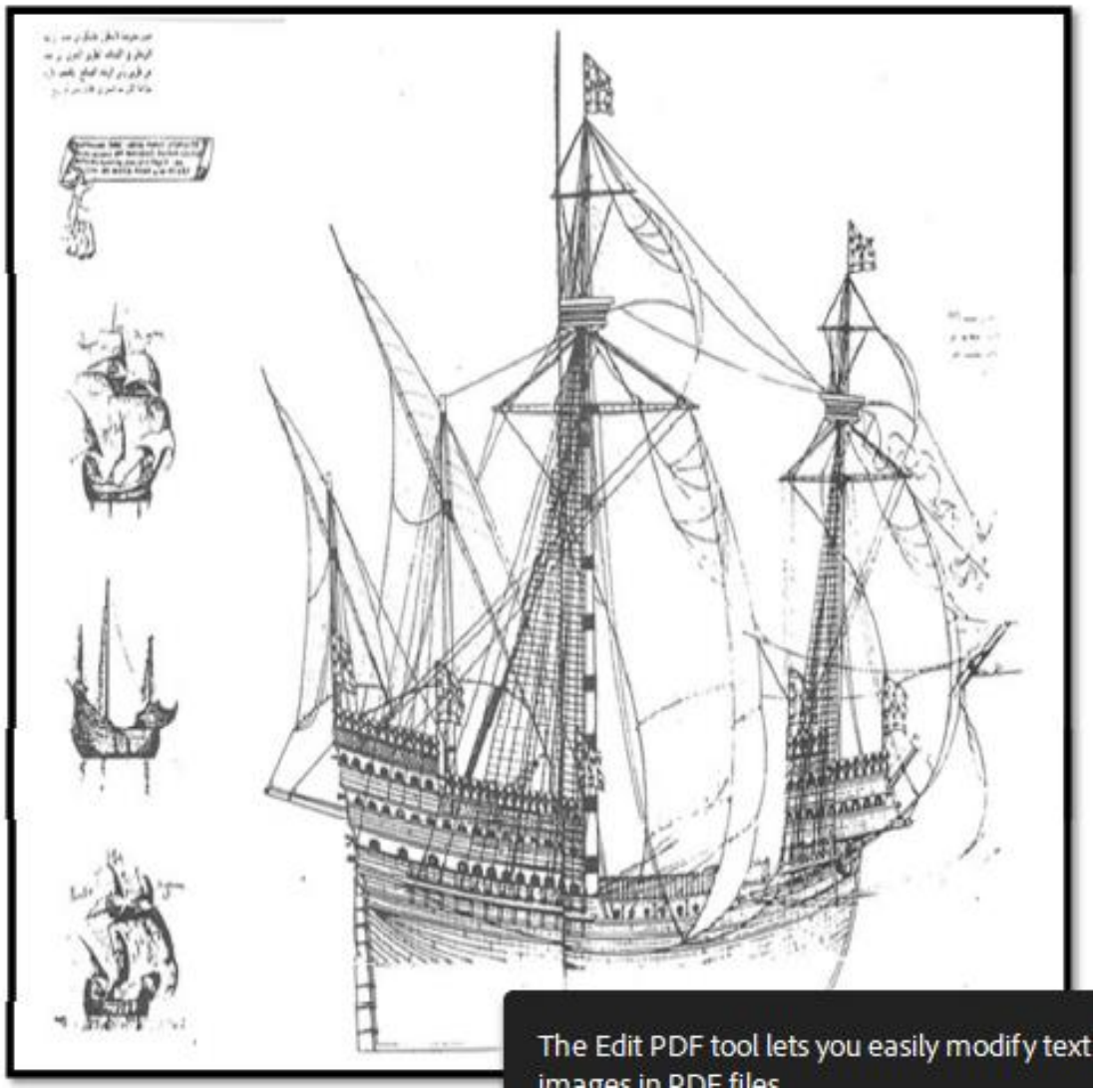

المصدر: أحمد محمد عبيد بطي الشامسي، الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر، ط2، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات، 2013م، ص347.

ملحق رقم (4) يوضح رسالة من سلطان كلوة إلى ملك البرتغال عمانويل 1509م

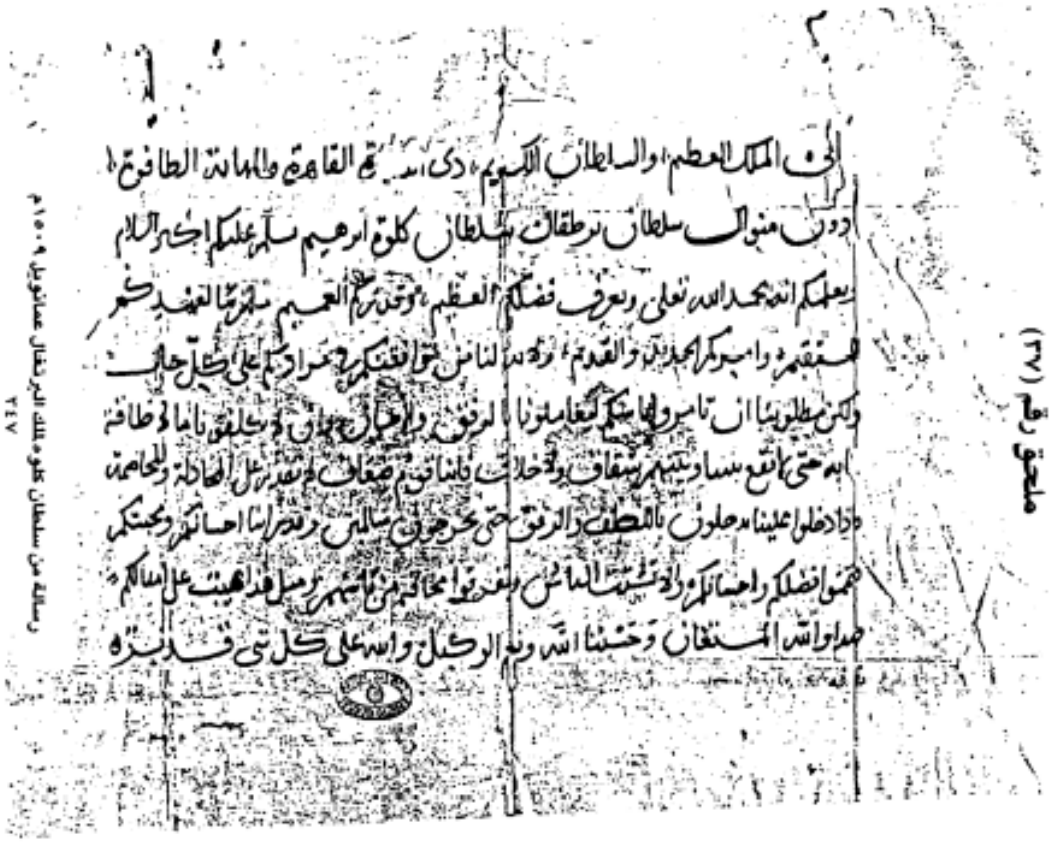

المصدر: أحمد محمد عبيد بطي الشامسي، مصدر نفسه، ص347.

مجلة قورينا العلمية QSJ
Qurina Scientific Journal
ISSN: 2959 - 7463

ملحق رقم (5) يوضح حصن يسوع الذي بناه البرتغاليين في ممباسا

المحذوري سليماني: الدور السياسي لأسرة المزاريع العمانية في إفريقيا الشرقية خلال القرن 18م و19م، باحث في التاريخ العماني، جامعة مسقط، عمان، 2022م، ص01.

هوامش البحث

(i) علي غانم، كيف تمكّنت دولة البرتغال من استعمار بلدان كبيرة مجلة خليج العربي في القرن 15-16، المجلد 19 العدد 1 سنة 1981م، جامعة البصيرة، العراق، ص22-34.

(ii) مجلة الخليج العربي 17، العدد 2، سنة 1985م، مركز الخليج العربي، سنة 1985م، ص10.

(iii) عبدالعزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي، ج1، دار الجيل، بيروت، مكتبة الرائد (د.ط) 1999م، ص12.

(iv) عبدالعزيز عوض، المصدر نفسه، ص16.

(v) السّير سيد العراقي؛ الإسلامي والصلبيون في ساحل إفريقيا في العصور الوسطى، ندوة الاستعمار البرتغالي، مركز الدّراسات و الوثائق، رأس الخيمة، 2001م، ص531.

(vi)مصطفى الخطيب، التنافس الدّولي في الخليج، 1622، 1613م، المكتبة المصرية، القاهرة، (د.ط) 1989م، ص61-45.

(vii) علي غانم، كيف تمكّنت البرتغال من استعمار البلدان كبيرة، المرجع السّابق، ص28.

(viii) أحمد مصطفي، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية السّيطرة عليه، مكتبة القاهرة، (د.ط) 1989م، ص204-205.

(ix) محمد عثمان، الصّراع العربي البرتغالي في المحيط الهندي ، بيروت ،لبنان ، (د.ط) 1994م ،ص204-205.

(10) عبد الوهاب القبسي: موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي، مكتبة دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص50.

(11) عبد الوهاب القبسي، المرجع نفسه، ص55.

(12) الشّعبي: الصراع العماني للصغزو البرتغالي، دار الحياة، بيروت، لبنان، 1970م، ص145.

(13) عبدالله ابراهيم، وشوقي الجميل: تاريخ افريقيا الحديث، ط1، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص15.

(14) ليلى الصباغ: الغزو البرتغالي للبلاد العربية وموقف الدولة العثمانية منه في القرن 16، دار الحياة، بيروت، لبنان، 1980م، ص315.

(15) الشعبي: الصراع العماني البرتغالي، مرجع سابق، ص160.

(16) الشعبي، المرجع السابق، ص162.

(17) جمال زكريا قاسم: سلطنة مسقط زنجبار بين الوحدة والانفصال، دار المعارف، القاهرة، 1970م، ص230.

(18) حسن محمود: الاسلام والثقافة العربية في افريقيا، ط2، دار النهضة المصرية، القاهرة، 1965م، ص242.

(19) حسن محمود، المرجع السابق، ص245.

(20) الخطيب: التنافس الدولي على البحر الأحمر، مرجع سابق، ص48.

(21) عصام محمد علوان: الصراع العثماني البرتغالي البحري في القرن السادس جامعة القدمى، مكتبة الجامعة، 1989م، ص45.

(22) طلال حمود عبده: دور العثمانيين في مقاومة البرتغاليين 2011، جامعة تعز، اليمن، ص205.

(23) طلال حمودة، المرجع نفسه، ص208.

(24) حسن محمود، المرجع السابق، ص248.

(25) محمد عبدالقادر سليمان: افريقيا من القرن التاسع عشر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، كلية الآداب، جامعة بنغازي، ط1، 2012م، ص51.

(26) شاهين علي: العلاقات العثمانية الهندية من فترة 15 إلى 18م مجلة الاكاديمية والفكر للتاريخ، المجلد 2، العدد 6 اغسطس، 2015م.

(27) القبسي عبدالوهاب، مرجع سابق، ص150.

(28) حمدان طارق: عدن بيع مطابع البرتغاليين ومطامع العثمانيين خلال النصف من القرن السادس عشر، جامعة بغداد، 2013م، ص150.

(29) حمدان طارق، مرجع سابق، ص160.

(30) مراد محمد عدنان: صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، دار الجمل، بيروت، لبنان، 1984م، ص55.

(31) مراد محمد عدنان: المصدر نفسه، ص58.

(32) طلال حمودة: دور العثمانيين في مقاومة البرتغاليين، المرجع السابق، ص255.

(33) زاهر رياض، استعمار افريقيا، دار المعارف، القاهرة، 1960م، ص55.

(34) زاهر رياض، المرجع نفسه، ص58.

(35) رأفت الشيخ: تاريخ افريقيا، دار الطباعة للنشر، القاهرة، 1991م، ص35.

(36) رأفت الشيخ، المرجع نفسه، ص45.

(37) راشد البرباوي، الرق في افريقيا البرتغالية، القاهرة، 1962م، ص15.

(38) المرجع نفسه، ص20.

(39) حسن محمود: الثقافة والإسلام في افريقيا، المرجع السابق، ص248.

(40) طلال حمودة، مرجع سابق، ص212.

(41) زاهر رياض، مرجع سابق، ص60.

(42) رافت الشيخ، مرجع سابق، ص50.

(43) حسن محمود، المرجع السابق، ص259.

(44) زاهر رياض: الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث، دار المعارف، القاهرة، 1960م، ص96.

(45) سعد زغلول، الاستعمار الألماني في شرق افريقيا من 1884-1914م، الاسكندرية، 1910م، ص66

(46) المرجع نفسه، ص12

(47) زاهر رياض، مرجع سابق، ص 118

(48) محمد عاشور المهدي، الحرب علة أنجولا ((موسوعة مقاتل صحراء)) معهد البحوث والدراسات الافريقية ، (د.ط)(د.ت) ، ص 613